مهرجان الأمة

بقلم حسنين مخلوف المدرس بالمدرسة الخديوية

ما هذه النجوم المتألقة ؟ وما هذه الأنوار الساحرة ؟ والجمال الباهر ، والفرح الشامل ، والجمع الزاخر ، والبحر المتلاطم من أمواج الشعب ؟ ما هذه القلوب الفياضة بالحب ، والإجماع المطبق على الولاء ، والكتل البشرية المتلاحمة ، والموسيقا الصدّاحة ، والنغمات المشجية والأفراح المتجلية فى كل بيت وناد وشارع وميدان ؟

ما هذا الفناء فى الاخلاص ، والبيعة على الفداء ، والزمر الهاتفة من أعماق قلبها بصوت واحد صاعد إلى السماء ؟

كل أولئك يهتفون كأنهم زُمَر الحجيج « الله أكبر ، ليحى الملك فاروق ، ولتحى عروسه الفريدة » .

ولولا جلال الدين ، وحرمة ما بين زمزم والحطيم لقلت إن ذاك حج الألوف ، وهذا حج الملايين .

مصر الوفية تفرح بملكها ، والنيل المقدّس ترقص أمواجه لا على هزات الهواء ، بل على تكبير الملائكة فى أعلى السماء .

نعم إنه عرس الملائكة رافعة أصواتها : « أنْ قد نصر الله دين محمد على يد فاروق » فتردد نداءها الجبال والوهاد ، والبحار والأنجاد ، وكل سابحة فى السماء ، وسارية على الغبراء .

هذه الجماهير المحتفلة ، والوفود المسرعة من أقصى البلاد حرّكها باعث الأمل ، وأيقظها هاتف السعادة ، علمت أن فاروق معقد رجائها ومناط استقلالها ، ورمز وحدتها فجاءت إليه واقفة ، وبسدته متعلقة قائلة « أعد يا مولاى لمصر عهد الخلافة الفاطمية ، والعزة المصرية ، واطلع فى مصر كوكبا دُرِّيًّا يغمر ضوءه كواكب العالم ، وقل لهم إن مصر التى كانت أمّ الحضارة ودرج العالم على يديها جديرة أن تقود العالم من جديد ، وتبعث فيه روح الخير والعمران والعدالة والمساواة « تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله » « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة » نعم إن مئات القرون فى مصر ترقب مطلع الفاروق ، فقد توارث الخلف عن السلف الأملَ فى استعادة مجد مصر ،

والتطلع ليوم جديد ، وعصر جديد تنشر فيه مآثر الماضين ، ويستعيد مَلِكها أمجاد الملوك الأكرمين ، فإذا بطالع السعد يهلّ من سدة الفاروق ، ونور الأمل ينبعث من جبينه المشرق . وكان هذا القران السعيد فرصة جميلة لإظهار شعائر الولاء ، ونُهْزَة كريمة للتعبير عن خالص الحب وبديع الوفاء .

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثنى وفوق الذى نثنى
وإن جرَت الألفاظ يوما بمدحة لغيرك إنسانا فأنت الذى نَعنى

ولا بدع أن يكون قرانُ الملك فرحَ الأمة ، فالملك هو القلب النابض لجسم الأمة ، والعلم الخفاق لعزها ومجدها ، وقطب نهوضها ، وعنوان عظمتها ، وقد منّ الله عليه بهذا الزواج السعيد ، وشمله بمآثر العز الطريف والتليد . فاهتزت الأمة سروراً لأن فؤادها العطوف القوىّ بحبها وإخلاصها قد انعقدت أعراسه ، فأقيمت أعراسها ، وهل القلب إلا بضعة من الجسم ؟ والجسم إلا مستجيب نداء القلب ؟ فتحركت الأمة بهزات الفرح حركة كهربية لا يدَ لها فيها إلا يد المصباح إذا أنارته أسلاك الكهربا ، والأوتار إذا حركتها أيدى العازف الماهر . فلتعذر يا مولاى أمتك إذا طارت سروراً ، وذهب بها الفرح إلى حد الطرب ، وبقيت

طول أيام عُرسك عاكفة على موسيقاها تنشد أهازيجها ، وتغنى على ليلاها فقد عمّك حبك شغاف القلوب ، وحل فى سواد العيون ، وانتظم الناس فى كل مكان يرددون نشيدا موسيقيا ويهتفون بنغم واحد «ليحى الملك الصالح» وإن فى زواج مولانا الفاروق معنى اختصت به مصر دون سائر الأمم ، فعهدُنا بالأمم فى التاريخ أن تجامل الملوك ، وتهب ما تجود به أيديهم فى مثل هذه المناسبة . أما عُرس الملك فاروق فالأمة شريكة فى هـذا الفرح ، تعد نفسها صاحبة شأن فى هذا المهرجان . وإلا فلماذا يتبرع الناس بوافر الأموال حمداً لله وشكراً ، ويتسابقون إلى الهدايا منّة من الله وفضلا ، يهنىء بعضهم بعضاً ، ويهدى بعضهم إلى بعض . ذلك لأن فى الفاروق مزايا ضنّ الزمان بها على كل الملوك ، وادخرها لملك مصر فاروق « ذلك فضل الله يُؤْتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .

وها هو ذا مهرجاننا الخاص ، مهرجان دار العلوم شيبها وشبانها أنبتهم نعمة جدك العظيم ! إسماعيل ، وأنشأتهم غَيرتُه على اللغة والدين فعاشوا على الولاء ، وانتسبوا إلى هـذا البيت الكريم ، ونشروا لغة القرآن فى هذه الديار ؛ فبارك الله ثمارهم ، وتطلع العالم العربى إلى مصر ،

وأعجب بثقافتها العالية ولغتها العربية المدنانية ، وقبس - وما زال يقبس - من نور فصاحتها ، وجمال أدبها ؛ فنحن - أبناء دار العلوم جنودك وجنود آبائك ، رسل الأدب والدين فى مصر :

وكان أبلغ شرف خصت به دار العلوم أن كان من رجالاتها أساتذة المليك ، والمليك أستاذ الأمة .

وإذا كان الشعب يُعرب عن ولائه وحبه لمولاه بصنوف الهدايا ، وأنواع التكريم ، فإن وسيلتنا إليك التى علمنا إياها آباؤك هذه الكلمات التى تعرب عن عظيم الإخلاص وفائض الدعاء أن يسعد الله برعايتك شعبك ، وأن يجعل الخير معقوداً بلوائك ، والنصر حليف أعلامك آمين .

مصطفى صادق الرافعى